

هَذَا أَنْتَ

بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري

ضَمِنْتَ لِلْحَقِّ عَمْرَ الدَّهْرِ مَا يَجِبُ

يا من بك الحق يزهو حين ينتسبُ

وعشتَ للحق لا ترضى به بدلاً

وان أصابتك في تأييده النُوبُ

ما أثقلت نفسك المثلى بفطرتها

ولا صبوت لِمَا لم يرتض الأدبُ

عرفت ريك قبل الوحي في خلدٍ

ما داخلته.. ولا مرت به الريبُ

فكنت أكمل من تَمَّت محامدهُ

وعز في مثلها أن تفخر العربُ

هذان أنت قبيل الوحي خير فتى

ويوم أرسلت.. نالت عزها الحقبُ

دعوت قومك للتوحيد يعصمهم

فما استجابوا، ولكن رأسهم ركبوا

أنت الحريص عليهم.. والرؤوف بهم

وما يزال رحيماً قلبك الحذبُ

يزداد حِلْمُكَ فِيهِمْ عِنْدَ كُلِّ أذَى
فَأَنْتَ أُمَّ لَهُمْ رَغْمَ الْأَذَى، وَأَبُ
وَأَنْتَ وَحْدَكَ فِي إِنْقَادِهِمْ سَبَبُ
وَكَيْ يُزِيلُوكَ كُلُّ عِنْدَهُ سَبَبُ
أَغْرُوكَ بِالْمَالِ.. بِالذُّنُوبِ.. بِمَا مَلَكَتْ
يَدُ الزَّمَانِ.. وَكَانَ الْمَوْقِفُ الْعَجَبُ
لِلَّهِ كَوَكْبَةٌ قَدْ آمَنْتَ رَغْبًا
وَيَالِهُ رَغْبًا مَا مِثْلُهُ رَغْبُ
سَمَّوْا بِهَدْيِكَ عَمَّا نَالَهُمْ وَرَأَوْا
جَنَاتِ رَبِّكَ تَدْعُوهُمْ، وَتَقْتَرِبُ
هَمُّ الْمَشُوقُونَ.. وَهِيَ الشُّوقُ بِرَحْمَتِهَا
مَا ضَرَّرُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَجْلِهَا صَبَرُوا
عَذْبًا رَأَوْا كُلَّ تَعْذِيبٍ، وَكَمْ صَبَرُوا
وَزَادَ مَا عَذَّبُوا الْإِيمَانَ، وَالذُّبَابُ
الصَّدَقُ إِنْ عَاهَدُوا يَزْهَوُ، وَإِنْ بَدَلُوا
حَسِبْتَ أَنْ أَيَْادِيهِمْ هِيَ السُّحْبُ
يَسْتَكْثِرُ النَّاسُ مِنْهُمْ بَعْضَ مَا وَهَبُوا
وَهُمْ يَرُونَ قَلِيلًا كُلَّ مَا وَهَبُوا
جِيلٌ سَيَبْقَى فَرِيدًا فِي عَقِيدَتِهِ
وَأَغْرَبُ الْأَمْرِ مَا فِي أَمْرِهِمْ كَذِبًا

هل كان مثل «أبي بكر» أخو ورع
 وأين من بأسه إماً دهت نوباً؟
 وأين من «عمر» عدلاً، وأين ترى
 في الزهد مثل «أبي ذر» إذا نسبوا
 وأين مثل «بلال» في الثبات وهل
 «كآل ياسر» صبراً تعرف الكتب؟
 لله أنت، ولله الذي فعلت
 آيات ريك فيهم حيثما طلبوا
 بوركات قائلهم، بوركات صاحبهم
 ويوركوا صحبة وفؤا لمن صحبوا
 من آل بيتك صار الأبعدون، وما
 أغنى مع الكفر لا قرب، ولا نسب
 يدا «أبي لهب» تبّت، وتبّ بها
 والزوج تبّت، وتبّ المال، والحطب
 ما كان أغناه - وهو العم - لو لمست
 كف الهدى قلبه، واستبرد اللهب



ضاقت قوى الشر بالحق الذي ظهرت
 آياته.. وتنزى الحقد والغضب

وأجمعوا الأمر في سرٍ وقد جعلوا
 لقاتلك نياقاً دونها الذهبُ
 في كل نفسٍ أشاروا الحق قد فارتفعت
 كل السُّيوفِ، وأنت القصدُ والطلبُ
 تجمّعوا زُمرًا بالبابِ واحتشدوا
 مُدججين.. ومَوْجُ الحقِّ يصطخبُ
 وظلُّ روحك في قدسي رفر فيه
 وأنت تبسمُ لا حقدٌ، ولا رهَبُ
 ما كان همك إلا أن ترد لهم
 ما آمنوك عليه رغم ما ارتكبوا
 هذا هو الدين.. هذا ما بعثت به
 وتلك أخلاق مَنْ عن دينهم رغبوا
 أوحى لك الله: هاجر للألى صدقوا
 فالمؤمنون هم الأوطان والنسبُ
 ولا ترعك حشود الأرض أجمعها
 فإنما الأمر بعد الصبر ينتقلبُ
 خرجت من بعد أن أبقيت مؤتمناً
 على ودائعهم تُعطى متى طلبوا
 هو الإمام كريم الوجه أمله
 (عليّنا) من له الإيثار ينتسبُ

أقام ربك سداً فوق أعينهم
وقد أحسوا وكل رأسه تريبُ
شاهت وجوه، ولولا ما دعوت لَمَا
شاهت.. فأحقادهم في وجههم تئبُ
تركت «مكة»، خير الأرض قاطبةً
ورحمت عنها برب البيت تحتسبُ
وما التفت إلى أهل ولا نشبِ
فدون ما تبغيه الأهل والنشبُ
صاحبت في الرحلة الكبرى أختة
من مثل صاحبك الصديق يسطحِبُ؟
أقمت في الغار أياماً على سغبِ
وفي رضا الله كم يحلو لك السغبُ!!
من قاب قوسين أو أدنى قد اقتربوا
وما رأوك، ومنك النور ينسكبُ
عناية الله أعمتهم.. ونلت بها
برد اليقين، وعانوا الذل وانسحبوا
طلعت من غارك المحروس شمس ضحى
والكون صعد شكراً قلبه الطربُ
من ذا الذي هب مثل الريح يسبقه
حقداً.. ويحمله من قومه الغضبُ؟!

هذا «سُرَاقَةٌ» يَرجو نيلَ ما وعدوا
وكساد يظفر لولا غارتِ الرُّكْبُ
وعدتُّه بسوار المُنْكَ يلبسه
أملكُ كسرى وأنتِ الألائذُ التَّعْبُ؟
وارتدُّ عنك كمن بالكف يُمسِكُه
حتى بوعدك هذا دونك الكذبُ



يا شوق «طيبة»، والبشرى تظللُها
ما مثل ما ارتقت في الدهر مُرتَقِبُ
بدرُ بدا من «ثنياتِ الوَداع»، لها
إلا له لا يليقُ الشُّوقُ والطُّربُ
كانُ تربتها تسبراً قد انقلبتُ
كأنمأ في تراها أمستِ الشُّهبُ
هي الجنانُ .. وأهلؤها ملائكةُ
لو كان في الأرض أملاكُ لها انتسبوا
المالُ، والنَّفْسُ، والأهلون إن طُلبتُ
فداءً دين الهدى ما كان منسحبُ
الدينُ تَمَمَّتِ الأنصارُ نُصرتَه
ولم يحلْ دونها بدلُ، ولا تعبُ

وكلُّ شِرْكٍ تَوَلَّى، وأمْحَى، وغدتُ
 راياتُ جُنْدِكَ تعلو أينما ركبوا
 وعدتُ للبيتِ عَوْدًا لا أعزُّ، وها
 أنتَ القديرُ عليهم أينما ذهبوا
 وجاءك القومُ في ذلٍّ وقد نكسُوا
 رؤوسَهُم.. وعليهم سيطر الرُّعبُ
 «ماذا تظنُّون أنِّي فاعلُ بكمُوء،
 ساءلتهم.. وقلوبُ القومِ تضطربُ؟
 قالوا: وأدنى أذى منهم أتاكَ إذا
 عدلتَ فيهم.. أبيدوا بعد أن غلبوا
 «أخ كريمٌ علينا أنتَ وابنُ أخٍ،
 وراَن صممتُ وكلُّ قابُبه يُجبُ
 قلتَ: «اذهبوا أنتم الطُّلقاءُ، فانقلبوا
 لكنْ على ما مضى منهم قد انقلبوا
 «قلتَ اذهبوا، يا له الرَّحمن من خلُقٍ
 هو الرُّسالةُ شُقَّتْ دونها الحُجُبُ؟
 وجاءك النُّصْرُ... نصرُ اللّهِ واكتملتُ
 بك الرِّسالاتُ.. وانقادتُ لك الحِقَبُ
 يا أكملَ النَّاسِ في قولٍ وفي عملٍ
 أمسى لهجرتك التَّاريخُ ينتسبُ

تمضي القرونُ وتبقى أنتَ قدوتها

فأنتَ من بهداهِ تَمَّتِ الكتبُ



محمَّدُ يا رسولَ اللّٰهِ معذرةٌ

إذا استحيَ القولُ ممَّا تشتكي العربُ

نُعطي لكلِّ ضلالٍ فوقَ ما يجبُ

وما أعرنا الهدى بعضَ الذي يجبُ

وبالهدى دانَت الدنيا لنا زماناً

ودال عننا فآلافُ هي النُوبُ

القدسُ مسراكُ أُولى القِبْلَتَيْنِ مضى

دهرُ تُسامُ هواناً وهي تنتحبُ

وما أقولُ عن الأقصى ووا لهفي

يشكو الحريقُ ويبكي، وهو منتهبُ!

عَدُ الحصى نحن، عَدُ الرَّمْلِ ثروتنا

لكننا وهي في سوقِ الهوى تُعبُ

سيوفنا في قلوبِ الأهلِ نزرعها

لتُنْبِتَ الوردَ للأعداءِ إن وثبوا

والمبدعونُ بقومي يبدعونُ لنا

فنُ الفناءِ، وفكرُ القومِ مضطربُ

والمخلصون وما لي لا أطيعُ لِمَا
 يَلْقَوْنَ قَوْلًا تَمَنُّوْا أَنَّهُمْ صُلِبُوا
 يُحَاكِمُونَ عَلَى الْأَحْلَامِ إِنْ حَلُمُوا
 وَيُؤْخَذُونَ بِبَلَا ذُنُوبٍ قَدْ ارْتَكَبُوا
 يَرْجُونَ مَحْوِ ظِلَامِ الْأَرْضِ حِينَ هُمُ
 أَدْنَى الْحَقُوقِ لِأَدْنَى الْعَيْشِ قَدْ سُلِبُوا
 فَكَمْ الْوَفَاءُ قَضَتْ مِنْهُمْ بِلَا سَبَبٍ
 وَكَمْ أَذِيقُوا هَوَانًا؟ كَمْ وَكَمْ نُهِبُوا؟
 وَكَمْ رَضِيعًا أَمَامَ الْأَهْلِ قَدْ فَسَخُوا
 وَمِنْ دَمِوعِ ذَوَاتِ الْخَدْرِ كَمْ شَرِبُوا؟
 فَلَا الشُّيُوخُ نَجَتْ مِنْ هَوْلٍ مَا ارْتَكَبُوا
 وَلَا النَّسَاءُ، وَلَا الْمَرْضَى، وَلَا الزُّغَبُ
 وَصَابِرِينَ عَلَى الْبَلَاءِ لِرِيهِمُ
 مَهْمَا الطُّغَاةُ عَلَيْهِمْ نَقْمَةً سَكَبُوا
 هُمُ الَّذِينَ لَكَ اللَّهُمَّ قَدْ صَبَرُوا
 وَكُلَّهُمْ لَكَ فِيمَا كَانَ مُحْتَسِبُ
 مَا بَدَلُوا دِينَهُمْ يَوْمًا، وَلَا وَهِنُوا
 وَلَا ارْتَضَوْا غَيْرَهُ نَهْجًا، وَلَا رَغِبُوا
 فَلَا يُغَرَّبُ مَا يَلْقَوْنَ طَاغِيَةً
 فَلَنْ يَكُونَ لَغَيْرِ الْمُؤْمِنِ الْغَلْبُ

فأصبحُ أتِوان طال الدجى زمناً
والماء يرجى إذا ما اسودتِ السحبُ
فلا يهونُك ما نلقى فنحن كما
شاء العلى إنما من سُلطوا ذنبُ



عفواً رسولَ الهدى في القلبِ ألفُ صدى
وكلُّ صوتٍ له في مقولِي شُعْبُ
الأمْرُ كان غريباً في بدايته
وها هو اليومَ بين الأهلِ يغتربُ
كان الغريبَ، وصارَ المرتجى، وأرى
مِنْ حَوْلِنَا الكونَ يرجوه ويرتقبُ



مالي أرى الصمّتَ يفري مهجتي وأرى
في القولِ.. ماذا رجاء.. يخجلُ الأدبُ
قد كان نهجُك في إنقاذِنَا سبباً
وما سواه لنا - إن تتعظأ - سببُ

١٤٠٠ هـ

محمد بن عبد الله